

المخططات الصليبية للسيطرة على البحر الأحمر في أواخر العصور الوسطى

باحثة وأكاديمية - المملكة العربية السعودية

د. لطيفة بنت خلف العنزي

مستخلص:

نتيجة للتغير الذي طرأ على أوروبا في أواخر العصور الوسطى أصبحنا لا نرى لدى الأوربيين طاقات جديدة يوجهونها لخدمة الحركة الصليبية، خاصة بعد استرداد المسلمين لمدينة عكا عام 690هـ / 1291م ، وطرد الصليبيين نهائياً من بلاد الشام، ولذلك بدأت تلعو صيحات المعادين للإسلام من فئات النصارى المتشددين لمواجهة هذا القصور الواضح والتراجع عن فكرة الحرب المقدسة، ولجأوا في سبيل تحقيق ذلك إلى إصدار الكتب والرسائل التي وجهوها إلى البابوات وشرحوا فيها خططهم، ومشاريحهم لمواجهة المسلمين، وأدرك واضعي الخطط أن مما ساعد على قوة المسلمين هو موقع بلادهم المميز والفريد بوصفهم واسطة التجارة بين الشرق والغرب، لذا كانت أهم خططهم هو إما تغيير طريق التجارة وصرفه عن البحر الأحمر، أو غلق البحر الأحمر عن طريق وضع سفن صليبية على مضيق عدن الباب الرئيسي للبحر .

Abstract:

As a result of the change that took place in Europe in the late Middle Ages, we did not see the Europeans have new energies that they would direct to serve the Crusader movement, especially after the Muslims retook the city of Acre in 690 AH / 1291 CE, and expelled the Crusaders from the Levant permanently. Therefore, the cries of anti-Islamists among the hard-line Christians began to rise. To face this apparent failure and retreat from the idea of holy war, and to achieve this they resorted to issuing books and letters that they addressed to the popes explaining their plans, and their projects to confront Muslims, and the planners realized that what helped the Muslims' power was the distinctive and unique position of their country as a medium of trade between the East and the West, so their most important plans were to either change the trade route and divert it from the Red Sea or close the Red Sea by placing Crusader ships on the Strait of Aden, the main gate to the Red Sea.

المقدمة:

اتسمت الحركة الصليبية في نهاية القرن الحادي عشر الميلادي (الخامس الهجري) وحتى الثالث عشر الميلادي (السابع الهجري) بسمات وخصائص معينة، كما كان لها ظواهر خاصة ودوافع وأسباب هيأت أمامها السبيل لتنفيذ سياستها الاستيطانية في بلاد الشام. وقد تضافرت في أوروبا في هذه الآونة عوامل عديدة دينية وسياسية واقتصادية واجتماعية أدت إلى خروج الحملات الصليبية وإلى نجاحها خلال هذه الفترة التاريخية. إلا أننا إذا حللنا هذه العوامل في الفترة التاريخية اللاحقة وأعني بذلك من نهاية القرن الثالث عشر الميلادي (السابع الهجري) وحتى الخامس عشر الميلادي (التاسع الهجري) نجدها قد تغيرت وتبدلت وتنوعت مما أدى إلى تغير في الفكرة الصليبية وكيفية تناولها والتعامل معها.

لذلك ونتيجة لهذا التغير أصبحنا لا نرى لدى الأوربيين طاقات جديدة يوجهونها لخدمة الحركة الصليبية، رأينا ذلك بعد استرداد المسلمين لمدينة عكا عام 690هـ/1291م، وطرد الصليبيين نهائياً من بلاد الشام، ورغم أن هذا الحدث أثار موجة حزن شديدة في أوروبا بجميع فئاتها، إلا أنه لم تكن له ردود فعل تناسب مستوى الحدث، ولم تقم بأي مجهود حربي جديد، سوى محاولات البابوية الراعية الرسمية للحروب الصليبية التي ألمها ذلك وحاولت جاهدة أن تعبر عن أسأها بالعمل وذلك على يد البابا نيقولا الرابع Nicholas 1288 (IV-1292 م) الذي أرسل رسله إلى جميع الملوك والأمراء النصارى لدعوتهم إلى تجهيز حملة صليبية جديدة ضد المسلمين⁽¹⁾. وأصدر عدة مراسيم بابوية تشمل عقوبة الحرمان الكنسي على كل من يتاجر مع المسلمين في مصر والشام وعلى كل من ينقل أي نوع من السلع والمتاجر إلى البلدان التابعة للمسلمين. ولم يقتصر هذا القرار فقط ضد المخالفين لأوامره بل اعتبرهم خونة مدى الحياة ويحرمون من حقوقهم المدنية والشخصية ولا يحق لهم كتابة وصية أو الحصول على ميراث⁽²⁾. إلا أنه فشل في ذلك، إذ إن المصالح الدنيوية أصبحت في ذلك الوقت أقوى من السلطة البابوية والكنيسة. فتوفي كمدأ، بعد أن خاب أمله في تحريك الجهود ضد المسلمين⁽³⁾. ولم يكن هذا التغير قاصراً على الامبراطورية والملوك والأمراء، بل امتد ليشمل أوروبا عامة.

بدأت تعلقو صيحات المعادين للإسلام من فئات النصارى المتشددين لمواجهة هذا القصور الواضح والتراجع عن فكرة الحرب المقدسة، ولجأوا في سبيل تحقيق ذلك إلى إصدار الكتب والرسائل التي وجهوها إلى البابوات وشرحوا فيها خطتهم، ومشاريعهم لمواجهة المسلمين، وشملت إلى جانب ذلك

أفكاراً وآراء تعمل على إصلاح الخلل الذي أصاب أوروبا عامة وأدى إلى تقاعسها عن أداء الدور الذي اضطلعت به منذ عدة قرون، وكان يحدها الأمل في أن تؤدي هذه الرسائل والخطط إلى إثارة الحماسة الصليبية وعودة الروح إلى الحركة الصليبية التي أصابها الموت، وقامت خلال القرنين الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين بمحاولات يائسة لإحياء الروح الصليبية من جديد لتحقيق نفس الأطماع القديمة⁽⁴⁾.

أدرك الغرب الأوربي أن مما ساعد على قوة المسلمين هو موقع بلادهم المميز والفريد بوصفهم واسطة التجارة بين الشرق والغرب، وسوقاً مهماً للتبادل التجاري بين إفريقية وآسيا وبلاد البحر المتوسط، وكان طريق البحر الأحمر أهم الطرق التجارية التي تدفقت من خلاله سلع ومتاجر اليمن والشرق الأقصى إلى موانئ الغرب الأوربي، ولهذا أصبح المسلمون يعتمدون على قوة وثروة هائلة مكنتهم من الوقوف في وجه الغزو الصليبي، ولهذا رأى واضعو الخطط الصليبية أن السبيل الوحيد الذي بقي أمامهم لإضعاف قوة المسلمين في مصر والشام هو فرض حصار اقتصادي عليهم مادام أن الجيوش الصليبية قد فشلت في جميع محاولاتها لاحتلال بلادهم، لذا كانت أهم خططهم هو إما تغيير طريق التجارة وصرفه عن البحر الأحمر، أو غلق البحر الأحمر عن طريق وضع سفن صليبية على مضيق عدن الباب الرئيسي للبحر الأحمر. لذا لا بد لنا في هذا البحث أن نذكر وبصورة سريعة موقع وأهمية البحر الأحمر لنتعرف على سبب تركيز دعاة الحروب الصليبية على هذا البحر في خططهم الصليبية.

البحر الأحمر مسطح مائي ضيق يفصل شمال شرق إفريقيا عن شبه الجزيرة العربية، وهو يرتبط بالمحيط الهندي في الجنوب، وتبلغ مساحة البحر الأحمر 450,000 كيلومتر تقريباً، ومتوسط عمقه 491 متراً مقارنة مع متوسط عمق المحيطات وهو 3700 متر. والبحر الأحمر أخدود محيطي ضيق يمتد لمسافة 2037 كم طولاً، وهو يبدأ عند مضيق باب المندب الذي يصل بين المحيط الهندي والبحر الأحمر عبر خليج عدن. وفي جزئه الشمالي يمتد منه ذراعان هما خليج السويس وخليج العقبة. ويصل عرض البحر الأحمر في الشمال إلى 180 كم ويتسع نحو الجنوب حتى يصل إلى أقصى اتساع له عند جازان إذ يصل عرضه إلى 350 كم، ثم يضيق مرة أخرى حتى لا يتعدى عرضه 30 كم عند مضيق باب المندب وتعزى تسمية هذا البحر إلى وجود نوع من الطحالب يتكون بلون أحمر ويتكاثر بسرعة كبيرة مغطياً مساحات واسعة من الماء⁽⁵⁾.

قلما تجتمع لمنطقة ما من العالم المميزات الجغرافية والحضارية والسياسية مثلما اجتمع لمنطقة البحر الأحمر بموقعها الوسط كشریان حيوي

للمواصلات العالمية، حقيقة وجدت طرق أخرى سلكتها تجارة الشرق إلى الغرب، مثل طريق المحيط الهندي إلى الخليج العربي والعراق ثم الشام أو آسيا الصغرى، وكذلك طريق الصين فبلاد وسط آسيا ثم موانئ البحر الأسود، ولكن مهما تعددت الطرق فإن التاريخ أثبت أن طريق البحر الأحمر هو أفضلها وأيسرها وأقصرها، وأقلها نفقات وأكثرها أمناً. وكانت الأطماع في تجارة البحر الأحمر والسيطرة على مضيق باب المندب ظلت هدفاً لعمل الصليبيون جاهدين من أجل تحقيقه منذ بداية الحروب الصليبية⁽⁶⁾، لذلك سنسلط الضوء على أهم خطط دعاة الحروب الصليبية الذين تناولوا في خططهم البحر الأحمر، وسنختصر خططهم في هذا البحث على ما ذكره فقط حول البحر الأحمر تاركين بقية مشروعاتهم لعدم الإطالة التي ستخرجنا عن موضوع البحث.

أول هؤلاء الدعاة هو المستشار البابوي والراهب الفرنسيكاني⁽⁷⁾ فيدنزيو اف بادوا Fidenzio of Badua ، تذكر السجلات الحولية للمنظمة الفرنسيةكانية أن فيدنزيو تلقى تدريباً عسكرياً قبل أن يقرر الدخول في أخوية الرهبان الفرنسيكان ونظراً لجهوده تم تعيينه عام 1266م ممثلاً لهذه المنظمة في الأراضي المقدسة في بلاد الشام⁽⁸⁾. وانتقل إلى هناك حيث عاش إلى أن تم طرد الصليبيين نهائياً من بلاد الشام على يد المسلمين، ويعتبر فيدنزيو شاهد عيان لتداعي الإمارات الصليبية الواحدة تلو الأخرى. فقد عاصرها منذ البداية إذ شاهد أنشطة السلطان الظاهر بيبرس في استعادة البلدان الإسلامية من قبضة الصليبيين، فقد كان شاهداً على استعادة صفد على أيدي جنود السلطان بيبرس عام 665هـ / 1266م، وبعد عامين شاهد استعادة المسلمين لمدينة اللاذقية، وفي هذه المدينة المهمة كان لـ فيدنزيو أف بادوا موقفاً جريئاً فبعد استعادتها وأسر العديد من الجنود الصليبيين خاطر بنفسه وعبر معسكر الجيش الإسلامي واتجه إلى الأسرى الصليبيين لتشجيعهم، ثم توجه إلى مخيم السلطان الظاهر بيبرس حيث قدم له التماساً بإنهاء الحرب وعقد هدنة بين الصليبيين والمسلمين، وطلب منه أيضاً منح امتيازات المرور بأمان لأفراد طائفة الرهبان، ولكن ومن خلال الأحداث اللاحقة يبدو أن مهمة فيدنزيو لم تؤت ثمارها⁽⁹⁾.

في عام 1274م غادر فيدنزيو الشرق متوجهاً إلى أوروبا لحضور اجتماع مجمع ليون برئاسة البابا جريجوري العاشر (1271 - 1276م) ومن الواضح أنه خلال الاجتماع عرض الأوضاع السيئة التي يعيشها الصليبيون في بلاد الشام وسقوط الإمارات الواحدة تلو الأخرى في يد المسلمين، وطلب المساعدة

من المجمع، وذلك لأن البابا جريجوري العاشر طلب منه إعداد تقرير لإعداد خطة لحملة صليبية توجه ضد المسلمين⁽¹⁰⁾.

وفعلًا بدأ فيدنزيو في إعداد الخطة الصليبية إلا أنه قرر قبل الانتهاء من الخطة العودة إلى الشرق فزار مصر، وأرمينيا، وقبرص بالإضافة إلى جميع مدن الشام، ثم توجه إلى القسطنطينية وتركيا وبلاد فارس، وذلك من أجل الحصول على معلومات عن الأوضاع هناك لتدوينها في خطته الصليبية⁽¹¹⁾. وبعد انتهاء فيدنزيو من خطته قدمها إلى البابا نيقولا الرابع باللاتيني (Nicolaus PP. IV) بعد سقوط عكا عام 1291م⁽¹²⁾.

قبل البدء في عرض خطة فيدنزيو الصليبية يجب أن نوضح أنه كان ملماً باللغة العربية بحكم إقامته الطويلة في بلاد الشام. وهذا ما سيجعل لخطته أهمية كبيرة. وضع فيدنزيو خطته في كتاب عنوانه: «استعادة الأرض المقدسة» Recuperationis Terre Sanote وقسمه إلى جزأين كبيرين، يتألف الجزء الأول من تاريخ عام لمدينة القدس منذ أقدم العصور حتى استعادة المسلمين لها من أيدي الصليبيين عام 1187م حيث أوضح الأسباب التي أدت إلى ذلك وإصراره على استعادتها مرة أخرى⁽¹³⁾. ولن ندخل في تفاصيل هذا الجزء لأنه لا يخص موضوع البحث.

أما الجزء الثاني من الكتاب فيتناول الجوانب العملية لحملة صليبية ناجحة من أجل الاستيلاء على الأماكن المقدسة بالشام وأيضاً كيفية الحفاظ عليها تحت سيطرة الصليبيين⁽¹⁴⁾. تحتوي خطة فيدنزيو على تفاصيل عسكرية دقيقة أهمها تجهيز قوة عسكرية بحرية لفرض حصار اقتصادي على المسلمين، وحدد عدد الأسطول حيث يقترح أن يتكون من أربعين أو خمسين سفينة عسكرية، ولا تقل عن ثلاثين لضمان نجاح الحصار، وتزويد هذه السفن بالرجال والعتاد، وأهم مهام هذه السفن هو اعتراض السفن التجارية للمسيحيين - الذين اسماهم - «العصاة» لتجارتهم مع المسلمين ولا يلتزمون بالأوامر الصادرة من البابا بمنع المتاجرة مع المسلمين ولا يخافون من العقوبات التي فرضتها الكنيسة ولا يزالون يواصلون تعاملهم التجاري مع المسلمين وبحرية تامة. واقترح أن يوضع جزء من هذه السفن في البحر الأحمر لاعتراض السفن الإسلامية القادمة من الهند، واقترح تحويل طريق التجارة الهندية من البحر الأحمر إلى طريق آخر بري يمر عبر بلاد فارس ثم أرمينيا، ويرى أن هذا سيحقق فوائد كبيرة منها زيادة اقتصاد أرمينيا النصرانية وبالتالي زيادة قوتها لتقف في وجه المسلمين وهجماتهم⁽¹⁵⁾. ويؤكد فيدنزيو على وسيلة أخرى أهم وهي إقامة العراقيل والسدود

في مجرى نهر النيل لأنه هو الشريان الرئيسي الذي يربط المدن الداخلية في مصر بالبحر المتوسط والبحر الأحمر، حيث تصل السفن التجارية إلى ميناء عيذاب في البحر الأحمر وتنقل السلع منها عن طريق الجمال إلى النيل، فيرى فيدنزيو أنه على الصليبيين أن يقوموا بسد مصبه ومحاصرته بسفنهم مما يؤدي إلى إلحاق الضرر والخسائر بجميع موانئ العالم الإسلامي ويعود ويؤكد على ضرورة تشديد الحصار الاقتصادي على المسلمين إلى أقصى حد ممكن⁽¹⁶⁾.

تلك هي خطة فيدنزيو أف بادوا وقد ذكرنا منها ما يهم موضوع البحث، وتنم خطته عن شخص له خبرة بالبلاد الإسلامية وهو أول من نادى بالحصار الاقتصادي على المسلمين قبل البدء بمعركة عسكرية ضدهم، وأيضاً هو أول من نادى بتحويل طريق التجارة من البحر الأحمر إلى الطريق البري الذي يمر ببلاد فارس إلى ميناء أرمينيا على البحر المتوسط.

ومن الدعاة الصليبيين فولك دي فيلاريه Foulques De Villaret المقدم الخامس والعشرون لمنظمة الإسبتارية، وقد صممت المصادر عن ذكر حياته الأولى قبل أن يصبح رئيساً لطائفة الإسبتارية، وذكرت المصادر أن حياته الأولى مجهولة ويكتنفها الغموض، ولم يعرف عنه سوى أنه من عائلة بروفانسية نبيلة⁽¹⁷⁾. تولى فولك فيلاريه منصب رئيس الطائفة عام 1305م بعد وفاة عمه وليم دي فيلاريه Guillaume De Villaret في قبرص⁽¹⁸⁾. وتوفي عام 1327م في فرنسا بعد أن تم خلعها من منصبه عام 1325م⁽¹⁹⁾.

قام فولك دي فيلاريه بجولة في أنحاء أوروبا بعد توليه منصبه⁽²⁰⁾ قابل خلالها البابا كليمنت الخامس (1305 - 1314م)⁽²¹⁾ في شهر أغسطس من عام 1307م ومعها الملك الفرنسي فيليب الرابع، عرض عليهما خطته الصليبية في الاستيلاء على البلاد الإسلامية، وتناقش معهما حولها⁽²²⁾.

كتب فولك دي فيلاريه مذكرتين لخطته الصليبية ضد المسلمين، الأولى كتبها عام 1306م والتي ناقشها مع البابا كليمنت الخامس وملك فرنسا فيليب الرابع، والأخرى كتبها عام 1311-1312م وأرسلها فولك دي فيلاريه للملك الفرنسي فيليب الرابع أثناء انعقاد مجمع فيينا سنة 1311-1312م⁽²³⁾.

احتوت خطته الصليبية على تفاصيل كثيرة للاستيلاء على الأراضي الإسلامية بدءاً من الدعوة للحملة، وانتهاءً بالاحتفاظ بالأماكن التي يتم الاستيلاء عليها. وما يهمنا في هذا البحث هو أنه رأى ضرورة تحويل طريق التجارة من البحر الأحمر إلى الطريق البري من الصين والهند مروراً ببلاد فارس إلى بلاد أرمينيا على ساحل البحر المتوسط، وشدد على ذلك إذ اعتبر أن قوة المسلمين تركز في اعتمادهم على طريق البحر الأحمر الذي مكنهم من احتكار السلع

الشرقية وبيعها بأسعار باهظة إلى الأوربيين مما رفع اقتصادهم وأصبحوا قوة لا يستطيع الغرب مواجهتها، ويؤكد عمل هذا الحصار الاقتصادي على المسلمين قبل قيام الغرب بأي محاولة عسكرية للاستيلاء على أراضيهم⁽²⁴⁾. ولتحقيق ذلك أعطى فولك تفاصيل عن نوع السفن التي ستقوم بالحصار وتوضع في البحر، وكذلك تفاصيل عن التمويل المالي لتلك السفن التي ستقوم بالحصار حتى تستطيع تنفيذها على الوجه المطلوب⁽²⁵⁾.

وللخطة الصليبية التي أعدها وليم آدم Guillaume Adam أهمية خاصة، لأنه أول داعٍ صليبي وطئت قدماه أرض الحبشة وعبر مضيق باب المندب. وليم آدم هو داعٍ صليبي ومنصرٍ جاب الشرق الأقصى من أجل الدعوة للنصرانية، ولد في إقليم لانجدوك Languedoc في الجزء الجنوبي الشرقي من فرنسا فيما بين عامي 1270-1280م، درس اللاهوت في دير كوندوم Condom ثم رشح للعمل محاضراً به في عام 1302م، وقد أنهى دراسته الجامعية في جامعة تولوز Toulouse في نفس السنة عام 1302م⁽²⁶⁾، ثم سلك وليم آدم طريق الرهبنة وانضم إلى طائفة الدومينيكان⁽²⁷⁾.

في عام 1305م، انتدبه البابا كليمنت الخامس للقيام بأعمال تنصيرية في الشرق. فسار عبر الطريق البري من ناحية أوروبا الشرقية حتى وصل عام 1307م إلى آسيا الصغرى، فظل موجوداً في القسطنطينية في تلك السنة، ثم أبحر عن طريق بحر إيجه ثم البحر الأسود، ثم انتقل عن طريق البر إلى بلاد أرمينيا الصغرى، ومنها إلى بلاد فارس وهناك أخذ يدعو للنصرانية فترة ليست بالقصيرة ثم سافر إلى بلاد الهند ووعظ هناك عن العهد الجديد (الإنجيل)⁽²⁸⁾. ثم توجه مع أحد رفاقه إلى المحيط الهندي وعن طريقه زار عدن في بلاد اليمن وجال في تلك الأنحاء حتى وصل إلى إثيوبيا⁽²⁹⁾.

يعتبر وليم آدم من أول الدعاة الذين أعدوا خطط صليبية يستطيع أن يصل بها بنفسه إلى بلاد الحبشة ويزور تلك الأماكن ويشاهد مضيق باب المندب الذي تصل من خلاله البضائع الهندية إلى بلاد المسلمين في مصر والشام، وهي في الواقع نقطة في غاية الأهمية بالنسبة للأفكار التي دونها في خطته من أجل إعداد حملة صليبية للاستيلاء على الأراضي الإسلامية. كما تجول في بعض المناطق المختلفة في المحيط الهندي وتعرف على سواحله، واستمرت رحلته في المحيط الهندي حوالي عشرين شهراً عاد بعدها على نفس خط سيره إلى فرنسا ومنها إلى أفنيون مقر البابوية الجديد وذلك عام 1316-1317م⁽³⁰⁾، ولذلك تميز وليم آدم بإلمامه بأمور الشرق وأخباره.

وفي تلك الفترة ألف كتابه الذي ضمن فيه خطته الصليبية والذي حوى

العديد من الأفكار العسكرية والسياسية والدينية والاقتصادية التي جمعها خلال رحلته تلك ودعا فيها أوربا لإعداد حملة عسكرية كبرى للاستيلاء على الأراضي المقدسة بالشام والقضاء على المسلمين والكتاب هو Demode Saracenos Extirpandi « كيفية سحق المسلمين ⁽³¹⁾ » وقدم هذا الكتاب إلى البابا حنا الثاني والعشرين 1316 (John XXII-1334م) ⁽³²⁾.
احتوى كتابه وصفاً دقيقاً لكل الأماكن التي زارها، واصفاً سواحلها ومنتجاتها الزراعية وموادها المختلفة، ولكن ما يهمننا في كتابه هو خطته الصليبية.

عرض وليم آدم بكل جرأة في بداية خطته أسباب قوة المسلمين وعدم تمكن الغرب الأوربي من القضاء عليهم والاستيلاء على القبر المقدس، فأهم سبب في نظره هو مصادر ثروتهم التي تعتمد على المتاجرة مع الأمم المجاورة لهم. فامبراطور القسطنطينية يصدر القمح إلى مصر وملك التتار يصدر إليهم الرقيق، والهند تمدهم بتجارتهما من التوابل والحريير ومصنوعاتها المتميزة، وعدن تجمع ما تحتاج إليه مصر من جنوب بلاد العرب وإفريقية الشرقية، وترسله إليها عبر البحر الأحمر ⁽³³⁾. ولهذا يرى وليم آدم أنه من أكثر الأسلحة فاعلية لإضعاف المسلمين في مصر والشام ولتوجيه ضربة قاتلة إليهم هو محاولة عزلهم، ولا يتحقق ذلك إلا بإغلاق مضيق باب المندب عن طريق إنشاء أسطول قوي في المحيط الهندي تكون مهمته الحيلولة دون وصول متاجر الهند إلى عدن ⁽³⁴⁾، وقد أدرك وليم مسبقاً صعوبة تنفيذ تلك الخطة، لذلك نراه يقدم بعض المقترحات التي استند عليها لتنفيذ هذه الفكرة، يرى أن الخطة ليست مستحيلة إذا تدخلت الكنيسة في روما وأمرت ببناء ثلاث أو أربع سفن في المحيط الهندي لمنع مرور السفن التجارية إلى عدن، ثم يحاول إقناع البابا بأن الجنوبية (يقصد مدينة جنوا) حاولوا تنفيذ هذا المشروع من قبل لأسباب تجارية، وبفضل مساعدة خان مغول فارس أرغون (1284-Arghun-1291م) قام الجنوبية بإعداد سفينتين في بغداد وكانوا يودون تسيير هذه السفن في نهر الفرات ومنه تتوجه إلى المحيط الهندي عبر الخليج العربي من أجل حماية مضيق عدن، إلا أنه أوضح أن هذا المشروع لم يكتمل فقط بسبب بعض الخلافات بين الجنوبية أنفسهم ⁽³⁵⁾. وقدم وليم حلاً للبابا وهو أن يتم بناء سفن في جزيرة هرمز في الخليج العربي، ولعله يقصد جزيرة قشم الحالية وكانت من ضمن أملاك مغول فارس في ذلك الوقت - أو في مدينة بومباي في الهند، أو في مدينة تانا Tannah ⁽³⁶⁾ أو مدينة كولوم Colom وتسمى كولومبو حالياً وتقع في جزيرة سيلان، ويضيف أنه يجب أن يتم إعداد السفن في تلك

البلاد بعيداً عن أعين التجار المسلمين سكان مدينة عدن الذين يتولون أمر الملاحة في البحر الأحمر، ويوضح أن هذا الأمر ممكناً لأن تجار عدن يتاجرون مع الهند ولكنهم ليس لديهم أي علاقة ببلاد فارس وجزر الأرخبيل الهندي لأنهم كما يذكر وليم على عداء دائم مع حكامها⁽³⁷⁾.

ويضيف وليم آدم أن بناء السفن في تلك المناطق سهل للغاية وذلك لتوفر أخشاب البناء بكثافة مثل أشجار التيك والصنديل وغيرها⁽³⁸⁾. بالإضافة إلى أنه لا يوجد ما يدعو إلى الخوف من هجوم مباحث للمسلمين لأن تلك المناطق - حسب رأي وليم - لم تعد من المرافئ التجارية لبلادهم. ويضيف أن شعوب تلك المناطق تشجع على القيام بمشروع يستهدف القضاء على ازدهار تجارة التجار المسلمين لأنهم يكرهونهم ويحسدونهم على غناهم ويفضلون التعامل مع السفن النصرانية، ولهذا سيساعدون السفن الصليبية في مهمتها، كما أن خان مغول فارس يتطلع إلى تأسيس قوة بحرية على الخليج العربي، وبهذا يتمكن الصليبيون بالتعاون معه من تحقيق هدفهم وإغلاق مضيق باب المنذب في وجه سفن المسلمين⁽³⁹⁾.

أما تسليح تلك السفن فقد اقترح وليم على البابوية القيام بتلك المهمة، وتجهيز ألف ومائتي بحار في تلك السفن ورأى أن يكونوا من الجنوية باعتبارهم البحارة الوحيدين الذين في استطاعتهم إتمام هذه المهمة على أكمل وجه⁽⁴⁰⁾. وهكذا، إذا تحققت كل تلك الأمور فلا يتبقى لتنفيذ الخطة سوى ميناء آمن، وقد ضمن وليم الحصول عليه بسهولة في المحيط الهندي الذي يضم كما يقول أكثر من عشرين ألف جزيرة معظمها مهجورة، وخصص وليم جزيرة هرمز (قشم الحالية) في الخليج العربي لتكون ميناءً لتلك السفن المسلحة، لأنها حسب رأيه تتميز بأفضل الشروط المناسبة لرسو تلك السفن. فهناك - على حد رأيه - يمكن للسفن أن تظل بها شتاءً دون خطر ويمكن إصلاح أعطالها أي القيام بصيانة تلك السفن وتخزين تلك البضائع التي يتم الاستيلاء عليها دون خوف من هجوم المسلمين بل على العكس فإن مغول فارس شجعوا هذا المشروع. ويرى وليم أنه من السهل وضع سفن في مواجهة المضيق لسد طريق التجارة إلى مصر⁽⁴¹⁾.

تلك هي خطة وليم آدم لسد طريق البحر الأحمر، ووضح من خطته أن أهم ما يشغل باله هو القضاء على تجارة المسلمين، وقد أدرك مسبقاً صعوبة تنفيذ تلك الخطة، لذلك نراه يحاول جاهداً إقناع البابا بخطته من خلال التسهيلات التي وضعها والتفاصيل الدقيقة التي ذكرها لتنفيذ هذه الخطة وكأنه يقول إن ذلك لا يعد مستحيلاً.

ولدينا داع صليبي آخر وضع خطة صليبية لاحتلال الأماكن المقدسة في بلاد الشام لا تقل خطورة عن خطة من سبقه، هو الداعي الصليبي مارينو سانودو Marino Sanudo، ولد مارينو سانودو في مدينة البندقية عام 1270م، والده ماركو سانودو Marco Sanudo من نبلاء البندقية، وهو ابن أخ الدوج إنريكو داندولو Enrico Dandolo الذي حرك الحملة الصليبية الرابعة عام 1202م، وحتى سقوط القسطنطينية في يد اللاتين عام 1204م⁽⁴²⁾.

اهتم مارينو سانودو منذ صغره بمتابعة أحوال الأراضي المقدسة، ولهذه الغاية عبر البحر المتوسط خمس مرات ليستطلع أحوال المسلمين، فزار عكا والإسكندرية ووصل إلى الحبشة جنوب مصر، كما زار قبرص وأرمينيا ورودوس، هذه الرحلات أكسبته خبرة واسعة في الشرق وشؤون البحر مما جعلته يجرؤ على الكتابة في الأمور البحرية لسعة إطلاعه بها⁽⁴³⁾. وقد استحوذت عليه فكرة القيام بحملة صليبية جديدة إلى الأراضي المقدسة بالشام فكتب رسالة حول أوضاع الأرض المقدسة *Conditiones Terrae Sanctae* وقدمها للبابا كليمنت الخامس Clement V سنة 1309م متأثراً بالأجواء السائدة في أوروبا والداعية للاستيلاء على الأراضي المقدسة بأي ثمن⁽⁴⁴⁾. وبعد عمل مضمّن استغرق حوالي الست عشرة سنة انتهى سانودو من إعداد كتابه سنة 1321م وقدمه للبابا حنا الثاني والعشرين، واختار له عنواناً هو «أسرار المؤمنين بالصليب لاسترجاع الأرض المقدسة والمحافظة عليها» *Secreta Fidelium Crucis* ونفهم من عرض سانودو لكتابه في مقدمته أنه قدم عدة نسخ من كتابه إلى كل من ملك فرنسا وإنجلترا وصقلية وملك أرمينيا وإلى امبراطور القسطنطينية وإلى الكرادلة وعدد من الأمراء وبارونات أوروبا، وأضاف إلى كتابه بعض الخرائط رسم فيها صورة الأرض المقدسة، ومصر ومدينة القدس، وعكا، وطاف مارينو سانودو بالعديد من الدول الأوربية للترويج لكتابه وحث البابا والملوك والأمراء على اتباع ما جاء فيه حتى يتم - على حد رأيه - الاستيلاء على الأرض المقدسة والاحتفاظ بها⁽⁴⁵⁾، إلى أن توفي عام 1343م في مدينته البندقية⁽⁴⁶⁾.

أما خطته الصليبية فقد قسمها من خلال كتابه إلى ثلاثة أجزاء رئيسية يعتبرها المراحل الطبيعية الثلاث للحملة الصليبية الناجحة، وأولها مرحلة إضعاف قوة المسلمين في مصر والشام الاقتصادية عن طريق فرض حصار بحري كامل حول سواحلهم، وعندما يتحقق ذلك تأتي المرحلة الثانية التي ستكون سهلة عندئذ وهي مرحلة إرسال الحملة الصليبية العامة لاحتلال مصر والشام والتي أطلق عليها اسم «العبور»، أما المرحلة الثالثة والأخيرة هي مرحلة الصمود في الأرض المحتلة، وكيفية الاحتفاظ بها⁽⁴⁷⁾. والواقع أن مارينو

سانودو في كتابه جعل لكل مرحلة من تلك المراحل كتاباً خاصاً بذاته وقسمه إلى عدة أجزاء تحتوي هذه الأجزاء على عدة فصول، عرض فيها مارينو بالتفصيل مشروعه الصليبي متضمناً وصفاً دقيقاً للأماكن المقدسة في الشام ووصفاً لمصر والحبشة وتاريخها، وطرق التجارة الدولية، الأمر الذي جعل كتابه مصدراً بالغ الأهمية في تاريخ وجغرافية الشرق في العصور الوسطى، وقد رأيت تلافياً للإسهاب والخروج عن الموضوع ذكر ما يخص البحر الأحمر في خطته الصليبية، وعدم إدراج المراحل الأخرى من خطته.

بالنسبة للمرحلة الأولى وهي مرحلة إضعاف قوة المسلمين الاقتصادية فقد أدرك سانودو أهمية موقع مصر الجغرافي المتفرد والذي يجب أن يكون الهدف الأول لتحطيم قوتها لأن مصر كانت دائماً مركزاً تجارياً مهماً يربط الشرق بالغرب، وبما أنها استمدت ثروتها من مرور التجارة عبر أراضيها لذلك كان إبعاد التجارة عن موانئها وشل تجارتها هو العامل الفاعل في كسر شوكتها وإضعاف مستواها الاقتصادي، كانت هذه هي خطة سانودو وهي خلق أزمة اقتصادية حادة في مصر تسبق الحملة العسكرية الصليبية، والأزمة لا تكون إلا بعزل مصر عزلاً تاماً عن الأسواق الأوروبية عن طريق منع التجار عنها منعاً باتاً خاصة تجارة الشرق الأقصى والتي تمر بأراضي السلطان عن طريق غلق ميناء عدن على البحر الأحمر والتي كانت تصل إلى البحر الأحمر وتنقل برأى إلى الإسكندرية، عن طريق إرسال كتيبة عسكرية أوروبية إلى الحبشة النصرانية لتستطيع بمساعدتهم في غلق مضيق باب المندب في وجه السفن التجارية المتجهة إلى السواحل الإسلامية⁽⁴⁸⁾، وهي خطة خطيرة وجديدة لم ترد في خطط الدعاة الصليبيين حيث رأى إرسال كتيبة عسكرية مكونة من أفراد وليس سفناً، أما السفن فتعدها الحبشة لهم ليسهل دخول البحر الأحمر على الصليبيين لأن المسلمين يمنعون دخول السفن الصليبية فيه. وفي نفس الوقت تحويل طريق التجارة عبر آسيا إلى موانئ أرمنيا على البحر المتوسط، أو عن طريق المحيط الهندي ثم الخليج العربي ثم إلى بغداد عن طريق نهر الفرات ثم إلى ميناء إياس في أرمنيا على البحر المتوسط ومنه تنقل إلى أوروبا⁽⁴⁹⁾.

كان هذا ما يهم موضوعنا من خطة مارينو سانودو وهي حصار مصر اقتصادياً لأنه رأى أن البدء بحملة صليبية برية على مصر لا يعني سوى الانتحار، وتعلم مارينو هذا الدرس كما ذكر في كتابه من الحملات الصليبية السابقة وخاصة حملة الملك الفرنسي لويس التاسع على مصر عام 1248 - 1250 م⁽⁵⁰⁾.
قدم الداعي الصليبي جيلبرت دي لانوي Ghillebert de Lannoy خطة صليبية إلى ملك إنجلترا هنري السادس (1422 - 1461 م)، وهي خطة تحتل مكانة مرموقة بين خطط دعاة الحروب الصليبية.

كان جيلبرت دي لانوي سيداً إقطاعياً لعدد من المقاطعات الصغيرة داخل برجنديا⁽⁵¹⁾، وكان رحالةً ودبلوماسياً، وأستاذاً لعلم الأخلاق. ولد عام 1386م لأسرة من النبلاء، وشارك منذ صغره في معارك كثيرة داخل أوروبا. وقام برحلة إلى الشرق للحج إلى الأراضي المقدسة عام 1401م، وزار فلسطين ودير القديسة كاترين في جبل سيناء، وزار القاهرة وقابل البطريك القبطي لكنيسة الإسكندرية، وزار من بين الدول الأخرى امبراطورية القسطنطينية ورودرس، وقبرص واستمرت الرحلة كلها لمدة عامين⁽⁵²⁾.

كانت مذكرة لانوي حول رحلته الأولى قصيرة جداً ولم تقدم مادة جديدة، لكن يبدو أن رحلته تلك قد تركت انطباعاً قوياً في خياله. وعندما سئمت له الفرصة لرحلة أخرى بأمر من دوق برجنديا وملك إنجلترا وملك فرنسا، شرع في رحلته الثانية وذلك تحت رعاية ونفقة سيده وراعيه دوق برجنديا فيليب لي بون (1419-Phillipe Le Bon 1467م)، حيث بدأ رحلته في عام 1421م⁽⁵³⁾. ونتائج رحلته الاستطلاعية متضمنة في كتابه الذي ألفه عن هذه الرحلة وهو كتاب « رحلة في مهمة » Voyages Et Ambassades ويمكن تقسيم الكتاب إلى ثلاثة أجزاء:-

الجزء الأول، يتتبع سير الرحلة براً وبحراً إلى الأراضي المقدسة، حيث شرعت رحلته في 4 مايو عام 1421م، حيث عبر أوروبا إلى القسطنطينية، ثم أبحر إلى جزيرة رودس وكريت، ومنها إلى الإسكندرية ثم استأنف رحلته براً إلى رشيد ومنها عن طريق فرع النيل إلى القاهرة وقابل البطريك النصراني الذي قدم له معلومات كثيرة، ثم إلى الحبشة، ثم قفل راجعاً إلى دمياط، ثم سافر إلى الأماكن المقدسة بالشام، ثم رجع إلى أوروبا عن طريق البندقية، وفي كل الأماكن الإسلامية التي زارها كان يكتب تقريراً عنها ليقدمه لسيدته للإسهام في نجاح الحملة الصليبية المرتقبة⁽⁵⁴⁾.

أما الجزء الثاني من كتابه فإنه مجرد إحصاء للأماكن المقدسة التي زارها في الشرق والقصص والأساطير التي نسجت حولها⁽⁵⁵⁾.

الجزء الثالث من كتابه وهو الأهم فإنه يتضمن - حسب قوله - منفعة للصليبيين وهو يحوي نتائج جولاته في البلاد الإسلامية، وما يهمني في هذا البحث هو تقريره وخطته الصليبية حول البحر الأحمر حيث ذكر جيلبرت دي لانوي، أن ملك الحبشة يعيش في منطقة أعالي النيل أي منطقة منبع النهر وأنه يريد تحويل مجرى نهر النيل عن مصر ولم يحجم عن تحويل مجرى النيل عن مصر إلا من أجل النصارى الكثيرين الذين يعيشون في مصر، ولكنه يريد من نصارى الغرب مساعدته حتى يتمكن من ذلك⁽⁵⁶⁾.

ثم يوضح جيلبرت دي لانوي أن سلطان مصر لا يسمح مطلقاً للنصارى بالوصول إلى الهند عن طريق البحر الأحمر خوفاً من تحالف هؤلاء النصارى الأوربيين مع ملك الحبشة وحثه على تحويل مجرى النهر أو إلى ارتكاب أي عمل يلحق الأذى بالمسلمين. ولهذا يرى جيلبرت دي لانوي مساعدة ملك الحبشة حتى يستطيع نصارى الغرب دخول البحر الأحمر بالتعاون معه وإغلاق مضيق عدن ومنع تجارة الشرق من الوصول إلى مصر⁽⁵⁷⁾.

هذه هي خطة الداعي الصليبي جيلبرت دي لانوي الذي يرى أهمية غلق البحر الأحمر، وتحويل مجرى نهر النيل عن مصر وبالتالي لا يستطيع المسلمون الحصول على متاجر الشرق مما يضعف اقتصادهم وبالتالي قوتهم، وهو في هذا التقرير يحث الغرب الأوربي استغلال الحبشة بما أنها تدين بالنصرانية ليتم التعاون فيما بينهم ويطبقون على المسلمين. وهي خطة خطيرة تنم عن خيرة لانوي بالشرق.

كانت تلك أهم مخططات دعاة الحروب الصليبية حول البحر الأحمر، والتي لم يغفل عنها الأوربيون بل سعوا جاهدين لتنفيذها وكانت بمثابة طريق اهتموا به وخريطة رسمت لهم مشوا على هديها لتحقيق أهدافهم ضد المسلمين. أدرك الأوربيون من خلالها أن غلق البحر الأحمر في وجه السفن التجارية القادمة من الشرق والاستيلاء عليه يستلزم أمرين، الأول: هو البحث عن طريق آخر غير طريق البحر الأحمر ترد منه تجارة الشرق الأقصى إلى أوروبا دون أن تمر بالبلاد التابعة للمسلمين⁽⁵⁸⁾، والثاني: هو التحالف مع إحدى القوى غير الإسلامية الواقعة قرب مدخل البحر الأحمر من ناحية الجنوب لتساعد الصليبيين في قطع التجارة الواردة إلى المسلمين عن طريق ذلك البحر. أما عن الأمر الأول، فقد بدأت بالفعل المحاولات الأوربية بالبحث عن طريق آخر جديد يوصلها إلى بلاد الشرق الأقصى، وكانت مدينة جنوا الإيطالية أول من قامت بذلك، ونتج عنه كشف بعض أجزاء الساحل الغربي لإفريقية في مواجهة جزر كناري، ما جعله مقدمة للجهود البرتغالية التي أدت فيما بعد لاكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح⁽⁵⁹⁾.

أما عن الأمر الثاني وهو التحالف مع إحدى القوى غير الإسلامية قرب البحر الأحمر من ناحية الجنوب لتساعد الصليبيين لقطع التجارة عن المسلمين، فقد وجد الصليبيون في دولة الحبشة النصرانية خير معين لهم⁽⁶⁰⁾، وتذكر لنا المصادر عن مراسلات جرت بين ملوك الحبشة وبين الأوربيين يضيّق بنا المقام في تتبعها ولكن ما يهم البحث أن الغرب الأوربي والحبشة لم يستطع أحدهما الاستفادة من الآخر للأطباق على المسلمين قبل اكتشاف

رأس الرجاء الصالح، بسبب اكتشاف سلاطين الماليك لخطط التآمر ضدها بين الأوربيين والأحباش، لذا قاموا بتشديد الرقابة على طرق الاتصال بين أوروبا والحبشة وعدم السماح للأوربيين سواء كانوا تجاراً أم رجال دين أم رسلاً بالمرور عبر أراضيها في طريقهم إليها. إلا أن ذلك التعاون فيما بينهما أتى ثماره بعد اكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح حيث وقفت الحبشة مع البرتغاليين في معاركهم الحربية ضد المسلمين في البحر الأحمر وكانت خير حليف لهم. كما أن ملوك الحبشة هددوا مصر أكثر من مرة بتحويل مجرى نهر النيل من بلادهم لضرب اقتصاد مصر⁽⁶¹⁾.

كما أدت الاتصالات بين الحبشة والأوربيين إلى زيادة معلومات الأوربيين عن المنطقة العربية الإفريقية جنوب البحر الأحمر، وما حصل عليه الجواسيس من أخبار وخرائط، ومعلومات جغرافية وبحرية أدى إلى نجاح خططهم في ضرب اقتصاد المسلمين⁽⁶²⁾. وقد استمرت الحملات البحرية البرتغالية تكتشف الساحل الغربي لإفريقيا حتى تمكن بارثلميو دياز Bartholomew Diaz من الوصول إلى أقصى نقطة في هذا الساحل واكتشاف الطرف الجنوبي لإفريقيا الذي عرفه « برأس العواصف » والذي أطلق عليه ملك البرتغال يوحنا الثاني (Jean II 1481 - 1495 م) « رأس الرجاء الصالح » تيمناً بالكشف الجديد وذلك عام 1478 م⁽⁶³⁾. ومن ثم تابع بعده الرحالة فاسكو دا جاما Vasco da Gama الذي قام برحلته حول رأس الرجاء الصالح في سنة 1497 م وممر بالساحل الشرقي لإفريقية ثم واصل طريقه إلى أن وصل إلى الهند، واستمرت رحلته حوالي ثلاث سنوات 1497 - 1499 م عاد بعدها من الهند إلى مدينة لشبونة بالبرتغال، وقد قام أثناء رحلته تلك بمهاجمة إحدى السفن التجارية العربية القادمة من الهند متجهة إلى مصر عن طريق البحر الأحمر، واستولى على ما بها من بضائع، ثم أمر بإغراقها بمن تحملهم من الركاب⁽⁶⁴⁾.

ومع نهاية القرن الخامس عشر الميلادي نجح الصليبيون في تنفيذ خططهم الصليبية وأتت خطط ومشاريع الدعاة الصليبيين ثمارها، وحقق البرتغاليون دوراً خطيراً من أدوار الحرب الصليبية ضد المسلمين، ألا وهو حرمانهم من مصدر ثرائهم وقوتهم، ثم انتقلوا إلى توجيه الضربات لهم في البحر الأحمر بمهاجمة السفن التجارية الهندية والعربية المتجهة إلى موانئ البحر الأحمر من ناحيتيه الشرقية والغربية.

بقي أن نقول، أن مخططات الأعداء ضد بلاد المسلمين لم تنته إلى يومنا هذا، وعليه يجب على المسلمين إدراك ذلك، فمثل هذه المخططات للسيطرة على البحر الأحمر تواجه مثلها اليوم بصليبية أخرى هي الصليبية الصهيونية.

قائمة المختصرات : -

A.B.F.	Archive of Biographique Francaises
Bio-Ac.His.	Biographique Acaemic-History
B.E.C.	Bibliothque de L'ecole des charte
Cam.Med.Hist.	Cambridge Medieval History
R.H.C. Hist- Arm	Recueil des historiens des croisades, historiens armeniens

المصادر والمراجع :

- (1) Laurent,(M.), Beutes de L'histoire des Croisades et des orders religieux et militaires qui en sont nés, Limoges, 1859,P.245.
- (2) 2. هايد،(ف)، تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى، ت. أحمد رضا محمد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1994م، ج 2، ص 254 255-.
- (3) ستيفن رنسيان، تاريخ الحروب الصليبية، ت السيد الباز العريني، ط3، 1993م، ج 3، ص 722.
- (4) عن هذه المشاريع والخطط الصليبية انظر بالتفصيل: لطيفه خلف العنزي، مشاريع الدعاة الصليبيين ضد العالم الإسلامي في حوض البحر المتوسط من نهاية القرن الثالث عشر حتى نهاية القرن الخامس عشر الميلاديين(1291-1499م)، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة القصيم، 2004م
- (5) معجم الأماكن الجغرافية في البحر الأحمر، دارة الملك عبد العزيز، المجلد الأول، ص 15-23.
- (6) كانت المحاولة الصليبية الخطيرة التي هدفوا من ورائها السيطرة على تجارة البحر الأحمر و إلى ضرب المدينتين المقدستين مكة والمدينة، بقيادة الأمير الصليبي الذي تسميه المصادر الإسلامية « أرناط » حيث تحرك من الكرك إلى ميناء أيلة واستولى عليه وزحف باتجاه ميناء عيذاب الواقع على الساحل المصري فأحرقوا في البحر 16 مركباً، وفي عيذاب نفسها أخذوا مركباً آتياً بالحجاج من جدة، كما استولوا على قافلة بريّة قادمة إلى عيذاب من قوص، واستولوا على مركبين لتجار قادمين من اليمن، وقتلوا واحرقوا أطعمة كثيرة على ذلك الساحل كانت معدة لمكة والمدينة. ثم انتقل متوجهاً إلى المدينة المنورة، علم صلاح الدين فأمر أخاه العادل بمصر بإعداد أسطول لرد الغزاة، وأعد العادل قائده حسام الدين لؤلؤ لهذه المهمة، وفي البحر قسم أسطوله إلى فرقتين فرقة حاصرت المحاصرين لقلعة أيلة في جزيرة فرعون واستولت على مراكب الصليبيين وقتلت أكثر رجالها، وفريق من الأسطول توجه إلى ميناء عيذاب، فاستطاع أن يطلق سراح الأسرى، ورد المسلوبات، وتوجه إلى الساحل الحجازي فوجد بعض

الصليبيين في ساحل الحوراء، وأدرك الباقين في الطريق إلى المدينة وتم القبض عليهم وحملوا إلى القاهرة، واثنان من أعيانهم حملا إلى «منى» ونحرا هناك كما تنحر «البدن» هدايا للحجاج، وقد أمر صلاح الدين بقتل كل الأسرى ليكونوا عبرة لكل من تحدثه نفسه بالاعتداء على الحرمين الشريفين. انظر: ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج9، ص152-153، حوادث سنة 577هـ؛ أبو شامة: الروضتين في أخبار الدولتين، ج3، ص-134 139؛ ابن جبير: الرحلة، ص34.

(7) الرهبنة الفرنسيسكانية: طائفة من الرهبان أسسها فرانسيس الأسيزي عام 1182-1226م، ولهذا سميت باسمه، ومن أهدافها أن تجعل النصرانية إنسانية، روحانية، قائمة على اعتناق الإنسان مبدأ المحبة، وممارستها تجاه البشر، وممارسة الفقر وعدم الاهتمام بالدنيا وملذاتها، وأوجدوا حركة التنصير في آسيا وإفريقيا. عنها انظر: Short-Heer, Med. World, P.79-89; Short-er camb. Med. Hist. Vol. II, P.669-671.

- (8) Golubovich, (G.), Biblioteca bio – Bibliografica della terra Santaedell Oriente Franceseano, Florence, 1906-1927, Vol, II, P.2.
- (9) Golubovich, (G.), Biblioteca bio – Bibliografica della terra Santaedell Oriente Franceseano, Florence, 1906-1927, Vol, II, P.24-25.
- (10) Golubovich, (G.), Biblioteca bio – Bibliografica della terra Santaedell Oriente Franceseano, Florence, 1906-1927, Vol, II, P. 4-9. Delaville La Roulx, La France en Orient au XIV siècle, 1886, P.19.
- (11) Golubovich, (G.), Biblioteca bio – Bibliografica della terra Santaedell Oriente Franceseano, Florence, 1906-1927, Vol, II, P. 5-6.
- (12) Golubovich, (G.), Biblioteca bio – Bibliografica della terra Santaedell Oriente Franceseano, Florence, 1906-1927, Vol, II, P. 19.
- (13) Golubovich, (G.), Biblioteca bio – Bibliografica della terra Santaedell Oriente Franceseano, Florence, 1906-1927, Vol, II, P. 9.
- (14) Golubovich, (G.), Biblioteca bio – Bibliografica della terra Santaedell Oriente Franceseano, Florence, 1906-1927, Vol, II, P. 27.
- (15) Golubovich, (G.), Biblioteca bio – Bibliografica della terra Santaedell Oriente Franceseano, Florence, 1906-1927, Vol, II, P. 41-49.

- (16) Golubovich,(G.), Biblioteca bio – Bibliografica della terra Santaedell Oriente Francescano, Florence, 1906-1927,Vol,II,P. 56-58.
- (17) A.B.F.Villaret(Foulques De), Hoefler,J.C.F. Nouvelle Biographie Generale,Etc.46 Vols.1852,P.65.
- (18) A.B.F.Villaret(Foulques De), Dezobry,L.C.ET. Bachelet ,J.L.T. Dictionnaire Generale De Biographie,Etc.2 Vols.1869,P.62.
- (19) A.B.F.Villaret(Foulques De), Hoefler,J.C.F. Nouvelle Biographie Generale,Etc.46 Vols.P.60-16.

(20) بعد طرد الصليبيين من بلاد الشام توجهت منظمة الاسبتارية إلى قبرص، وهناك أخذت تفكر في الاستيلاء على جزيرة رودس لجعلها مركزاً لشن الحملات الصليبية على المسلمين وقد فكر وليم عم فولك بهذا إلا أنه توفي قبل تنفيذ مخططه، وعندما خلفه فولك في رئاسة الطائفة سعى جاهداً لتحقيق ذلك. والواقع أن فيلاريه جعل همه الأكبر في لقائه مع البابا محاولة إقناعه وملك فرنسا بتقديم المساعدة له في الاستيلاء على رودس، مبيناً لهم فائدة المشروع وأن الجزيرة ستكون نقطة انطلاق الصليبيين للهجوم على المسلمين، دعا البابا عام 1308م إلى حملة صليبية تحت قيادة فولك دي فيلاريه، وبعيداً عن تفاصيل الحملة التي لم تتم بسبب مشاكل تمويلها، إلا أن فولك دي فيلاريه أصر بالقلعة التي معه الاستيلاء على جزيرة رودس، وفعلاً استولى عليها عام 1310م، وأصبحت منذ ذلك الوقت معقلاً لمناوئة المسلمين وأسهمت في الغارات المتكررة على السواحل الإسلامية في مصر والشام. انظر بالتفصيل: A.B.F.Villaret(Foulques De), Hoefler,J.C.F. Nouvelle Biographie Generale,Etc.13 Vols.P.24; Delaville Le Roulx-.,(J.),Les Hospitaliers En Terre Sainte Et Achypre 1100-1310,P. 280

(21) البابا كليمنت الخامس: اسمه برتراند Bertrand ولد في عام 1260م، في فرنسا من عائلة جاسكونية نبيلة ذات نفوذ، ودرس القانون الكنسي، ثم التحق بالسلك الكنسي وتدرج فيه، اشتهر بالذكاء إلا أنه كان متردداً وضعيفاً ولهذا وقع تحت سيطرة الملك الفرنسي فيليب الرابع، تم انتخاب كليمنت لمنصب البابوية في ليون بفرنسا في 15 نوفمبر عام 1305م، بعد تدخل الملك الفرنسي في انتخاب البابوات وإصراره عدم مغادرة البابا إلى روما وجعل إقامته في أفنيون في فرنسا، ولهذا يعتبر البابا كليمنت الخامس

- أول بابوات أفنيون والتي تسمى في التاريخ فترة الأسر البابلي. انظر: Kel-ly,(J.N.D.),The Oxford Dictionary of Popes, Oxford,1996,P.212-214
- (22) Delaville Le Roulx,(J.),Les Hospitaliers En Terre Sainte Et Achy-pre 1100-1310,Paris, 1904,P.55.
- (23) Atiya,(A.S.),The Crusade in the later Middle ag- عن ذلك أنظر: es,London,1938,P.57;Kedar&Schein,Un project de passage particulier propose par L'order de Hospital,1306-1307,Bec 137(1979),P.211-225.
- (24) Petit,(J.),Memoire De Foul- عن فولك دي فيلارية ومشروعه انظر : ques DeVillaret sur La Croisade,(Dans.B.E.C.IX,In1899),P.602-610
- (25) Housley,(N.),Documents on the later crusades 1274-1580,London,P.41-42.
- (26) A.B.F. Guillaume Adam, L'academie des sciences d'outre-mer. Hammes et destins,7 Vols.,1975-1986,P.73.
- (27) جماعة الدومنيكان: أسس هذه الطائفة من الرهبان سنة 1215م دومينيكو دي غومسان (1170-1221م) المعروف بالقديس دومنيك، ومنه اشتق اسم الطائفة، وهو راهب أسباني من مدينة قشتالة. وقد ظهرت هذه الجماعة من أجل الوعظ والإرشاد بين الناس، ومكافحة تيار الهرطقة الذي ظهر في الكنيسة وخارجها في أواخر القرن 12 م و القرن 13م، ولهذا اهتم الدومنيكان بالتعليم والدراسات اللاهوتية اهتماماً كبيراً، واعتنوا بتدريب أبنائهم على الجدل والخطابة للرد على الهرطقة ومجادلتهم. فلما ظهرت الجامعات في أوروبا كان الدومنيكان مؤهلين أكثر من غيرهم للتعليم فيها. وعلى هذا كان معظم الأساتذة الجامعيين منهم، كما كانت جامعة الدومنيكان تتمتع بصلات مع المشرق ولهذا نرى وليم آدم أتجه إلى هناك، وهي جماعة دينية لها صبغة دولية وتعتمد كلياً على كنيسة روما. أما شعارهم فهو ممارسة حياة الفقر الشديد والاقتصار على ملابس الصوف، وغير ذلك من ألوان التقشف الشديد والمعيشة الصارمة. عنها انظر: Baldwin,(M.W.), The medieval church, Newyork,1960, P.60-61
- (28) Kohler,(C.H.), Guillelmus Adae,R.H.C. Hist. arm.Vol.II,P.542.
- (29) A.B.F. Guillaume Adam, L'academie des sciences d'outre-mer.

- Hammes et destins,7 Vols.,1975-1986,P.73; R.H.C.Hist. arm.,P.550.
- (30) A.B.F. Guillaume Adam, L'academie des sciences d'outre-mer. Hammes et destins,7 Vols.,1975-1986,P.73; R.H.C.Hist. arm.,P.550.
- (31) R.H.C.,Hst. Arm. Guillaume Adam,P.525.
- (32) البابا حنا الثاني والعشرون، اسمه Jacques Duese، ولد عام 1244م، وينحدر من أسرة برجوازية غنية، درس القانون وأصبح أسقفاً عام 1300م، ثم مستشاراً لملك صقلية شارل الثاني، وعين أسقفاً لأفنيون عام 1310م، ثم كاردينالاً لكنيسة القديس فيتال، وتم انتخابه بابا لأفنيون عام 1316م، ليكون ثاني بابوات أفنيون، ومن أهم أعماله اهتمامه بإرسال البعثات التنصيرية إلى قارة آسيا. انظر: Kelly,(J.N.D.),The Oxford Dictionary of Popes, Oxford,1996,P.214-216
- (33) Guillaume Adam, Demode Saracenos Extirpandi,In R.H.C.Arm., Vol.II, P. 5 2 3.
- (34) Guillaume Adam, Demode Saracenos Extirpandi,In R.H.C.Arm., Vol.II, P. 5 5 3.
- (35) 35. Guillaume Adam, Demode Saracenos Extirpandi,In R.H.C.Arm., Vol.II, P. 5 5 1.
- (36) 36. تقع على ساحل المحيط الهندي في شمال بلاد الهند حالياً.
- (37) Guillaume Adam, Demode Saracenos Extirpandi,In R.H.C.Arm., Vol.II, P. 5 5 4.
- (38) Guillaume Adam, Demode Saracenos Extirpandi,In R.H.C.Arm., Vol.II, P. 5 5 0 - 5 5 2.
- (39) Guillaume Adam, Demode Saracenos Extirpandi,In R.H.C.Arm., Vol.II, P. 5 5 4.
- (40) Guillaume Adam, Demode Saracenos Extirpandi,In R.H.C.Arm., Vol.II, P. 5 5 3.
- (41) Guillaume Adam, Demode Saracenos Extirpandi,In R.H.C.Arm., Vol.II, P. 5 5 3.
- (42) Delaville La Roulx, La France en Orient au XIV siècle,1886, P.32.
- (43) مارينو سانودو، كتاب الأسرار للمؤمنين بالصليب في استرجاع الأراضي المقدسة والحفاظ عليها، ترجمة الأب سليم رزق الله، دار الريحاني، لبنان،

- ط 1، 1991م، ص 17. Delaville La Roulx, La France en Orient au XIV siècle, 1886, P.32-33.
- (44) مارينو سانودو، كتاب الأسرار للمؤمنين بالصليب في استرجاع الأراضي المقدسة والحفاظ عليها، ص 45.
- (45) Atiya,(A.S.),The Crusade in the later Middle ages,London, 1938,P.119-120.
- (46) Atiya,(A.S.),The Crusade in the later Middle ages,London, 1938,P.126.
- (47) Atiya,(A.S.),The Crusade in the later Middle ages,London, 1938,P.119-120.
- (48) Delaville La Roulx, La France en Orient au XIV siècle,1886, P.38.
- (49) 49. Delaville La Roulx, La France en Orient au XIV siècle,1886, P.35-36.
- (50) مارينو سانودو، كتاب الأسرار للمؤمنين بالصليب في استرجاع الأراضي المقدسة والحفاظ عليها، ص 142.
- (51) برجنديا : هي إحدى الإمارات الإقطاعية المهمة التابعة للتاج الفرنسي، تقع في الجنوب الشرقي لفرنسا وكانت محتفظة بكيانها الذاتي، دون أن تخضع بشكل تام للسيطرة الملكية الفرنسية. عنها أنظر: Camb. Med. .H.ist. , Vol.VII,P.431-456
- (52) Ceuvres de Ghillebert de Lannoy, Voyageur Diplomate et moraliste, Ed. By ch. Potvin with notes and maps by J.C. Houzeau, Louvain-, 1878,P.10-11.
- (53) Ceuvres de Ghillebert de Lannoy, Voyageur Diplomate et moraliste, Ed. By ch. Potvin with notes and maps by J.C. Houzeau, Louvain-, 1878,P.51.
- (54) Ceuvres de Ghillebert de Lannoy, Voyageur Diplomate et moraliste, Ed. By ch. Potvin with notes and maps by J.C. Houzeau, Louvain-, 1878,P.65.
- (55) Ceuvres de Ghillebert de Lannoy, Voyageur Diplomate et moraliste, Ed. By ch. Potvin with notes and maps by J.C. Houzeau, Louvain-, 1878,P.73-97.

(56) *Ceuvres de Ghillebert de Lannoy, Voyageur Diplomate et moraliste*, Ed. By ch. Potvin with notes and maps by J.C. Houzeau, Louvain-, 1878, P.121-130.

(57) *Ceuvres de Ghillebert de Lannoy, Voyageur Diplomate et moraliste*, Ed. By ch. Potvin with notes and maps by J.C. Houzeau, Louvain-, 1878, P.121-130.

(58) تناول دعاة الحروب الصليبية في خططهم عدة طرق لنقل منتجات الشرق الأقصى إلى أوروبا دون المرور بأراضي المسلمين وكان من بينها طريق وسط آسيا مروراً ببلاد فارس حتى يصل إلى نهر الفرات ومنه إلى ميناء إيلاس الأرمني على البحر المتوسط، وقد أدرك المماليك خطورة ذلك على اقتصاد دولتهم، فبدأوا بشن حرب لا هوادة فيها ضد مملكة أرمينيا ومينائها إيلاس حتى استطاعوا في عام 776هـ / 1375م القضاء تماماً على مملكة أرمينيا الصغرى وأعادوا أرضها ومينائها المشهور إلى المسلمين. عن ميناء إيلاس انظر: عبد الله سعيد الغامدي، سياسة سلاطين دولة المماليك إزاء ميناء إيلاس الأرمني، بحث نشر في مجلة جامعة أم القرى، سنة 1420هـ.

(59) هايد، (ف)، تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى، ت. أحمد رضا محمد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1994م، ج 2، ص 383-384. Serjeant, (R.B.), *The Portuguese off the south Arabian*, Oxford, 1963, P.2.

(60) انظر: المقرئزي، تقي الدين (766-845هـ)، رسائل المقرئزي، الإلمام بأخبار من بأرض الحبشة من ملوك الإسلام، دار الحديث، القاهرة، 1998م، ص 231-244.

(61) عن العلاقات بين مصر والحبشة انظر: سعيد عبد الفتاح عاشور، بعض أضواء جديدة على العلاقات بين مصر والحبشة في العصور الوسطى، ضمن كتاب بحوث ودراسات في تاريخ العصور الوسطى، 1977م، ص 279 - 321.

(62) Newton, (A.P.), *Travel and travelers of the Middle Ages*, London, 1949, P.202-216.

(63) Stephens, (H.M.), *Portugal*, London, 1891, P.150-156.

(64) Stephens, (H.M.), *Portugal*, London, 1891, P. 156.